

الجمهورية الماليزيا
وزارة التعليم العالي
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة المدينة العالمية

بحث

(ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة)

(مشروع بحث هيكل (ج) مقدم لنيل درجة ماجستير في الدعوة)

إشراف: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد السيد إبراهيم البساطي

إعداد:

اسم الطالب: محمد شريف الإسلام بن محمد عبد الودود

قسم الدراسات العليا (ماجستير)

كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة المدينة العالمية بماليزيا

رقم المرجعي: MDW111AL784

العام الجامعي: 1434 هـ الموافق 2013 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ⁽¹⁾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا⁽²⁾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا⁽³⁾

أما بعد :

الدعوة والأخلاق صنوان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا تصح الدعوة ولا ترشد وتكمل في أسلوبها وطريقة عرضها إلا بالأخلاق، ولا يثمر الخلق الفاضل إلا خيراً إذ يكون مدعاة إلى الرشد بطريق القدوة، فالخلق الفاضل موضوع الدعوة ومقصودها وغايتها ووسيلتها، وهو أيضاً أسلوب في إيصال مضامين الدعوة إلى الناس.

والخلق الفاضل هو المجال الأكبر من مجالات الدعوة، فهو المطلب الأساسي للدعوة في مختلف مجالات الحياة المجال العقدي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي والتربوي. بل إن الرسالة الخاتمة بغيرها من رسالات الله تعالى إنما انصبت نحو الأخلاق، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: (102).

(2) سورة النساء، الآية: (1).

(3) سورة الأحزاب، الآية: (70-71).

(4) أحمد : المكثرين (8595).

وقال ابن عباس رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان وقال أبو ذر رضى الله عنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله فرجع فقال رأيتته يأمر الأخلاق (1).

والدعوة في الأصل إنما تكون إلى تحقيق التوحيد لله تعالى والإخلاص له جل وعلا، والإخلاص أصل الأخلاق ومنبعها، (الإخلاص) ذلك الخلق العظيم من آثاره ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا الله فيه) (2).

والدعاة ينظر إلى أقوالهم وأفعالهم يتأسى بهم العوام لذا يجب أن يكون موافقا في كل تصرفاته للشرع كي ينال أجر التبعة الحسنة ويجذر وبال التبعة السيئة فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) (3).

والداعية يحمل رسالته في شخصيته وسمته وأسلوب تعامله مع الآخرين، فهو ذو هدف ومن ثم فينبغي أن يتفقد قوله وعمله وسمته وسائر تصرفاته.. ومما يستدل به على أهمية الخلق الحسن : أنها تعصم بإذن الله من الهلاك العام : فعن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعا يقول : (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت الخبث) (4). والأخلاق صمام الأمان يعصم بإذن الله من الخبث لأنها تهدي للتي هي أقوم فهي الرشد وهي البر والإحسان.

(1) صحيح البخاري : المناقب (3861) (2474).

(2) صحيح مسلم : الجنائز (948).

(3) صحيح مسلم : العلم (2674).

(4) متفق عليه- البخاري : الأنبياء (3346)، مسلم : الفتن (2880).

وقد اهتم السلف الصالح بالأخلاق اهتمامهم بالعقيدة ومن الآثار التي تؤثر عنهم في ذلك قول عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم : (لكل شيء أساس، وأساس الإسلام حسن الخلق) (1).

وقال محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : (ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء وإن أسرع الخير ثوبا البر، وأسرع عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه) (2).

أولا : موضوع البحث :

يتناول موضوع البحث "ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة" على ضوء الكتاب والسنة والجوانب التي تتعلق بالموضوع الذي يقوم في الإيضاح على ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة.

ثانيا : أسباب اختيار هذا الموضوع:

- 1- معظم الآيات في القرآن الكريم التي حثت على التحلي بالأخلاق الفاضلة بلغ العدد الإجمالي لآيات الأخلاق نحو الربع من عدد آي القرآن الكريم كله.
- 2- أن الأخلاق في الشريعة الإسلامية هي إحدى أصوله الأربعة وهي على الترتيب : (الإيمان، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات).
- 3- لو نظرنا في أسباب انتشار الدعوة في العالم لوجدنا منها السبب الحقيقي هو الأخلاق الفاضلة.
- 4- إنما كان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأخلاق كما قال هو عن نفسه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).
- 5- الدعوة والأخلاق صنوان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا تصح الدعوة إلا بالأخلاق الفاضلة.

ثالثا : أهمية البحث :

(1) صفة الصفوة : (104/2).

(2) صفة الصفوة : (111/2).

تتبع أهمية موضوع البحث من خلال النقاط التالية :

1- أن الأخلاق هو الدين كما في قوله تعالى: (إنك لعلي خلق عظيم) أي على دين عظيم كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما.

2- سبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان لإتمام مكارم الأخلاق كما قال هو عن نفسه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

3- الخلق الفاضل هو مقصود الدعوة وموضوعها وغايتها ووسيلتها.

رابعاً : أهداف البحث : يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- بيان أهمية الخلق الفاضل في الدعوة.

2- بيان ارتباط الأخلاق بالدعوة بأتمم متلازمان.

3- البيان بأن الأخلاق هو سر انتشار الإسلام.

4- البيان بأن الخلق الفاضل هو مقصود الدعوة وموضوعها وغايتها ووسيلتها.

خامساً : حدود البحث:

يتناول البحث عن الخلق الفاضل وارتباطه بالدعوة إلى الله تعالى.

سادساً : منهج البحث:

1- منهج البحث العلمي المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي.

2- سرت في بحثي على أصول منهج أهل السنة والجماعة.

3- عزوت الآيات الكريمة إلى السور مع ترقيمها.

4- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث.

5- نسبة الأقوال إلى أصحابها.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

سابعاً : تفصيل خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس المحتويات والمصادر والمراجع
فأما المقدمة فقد اشتملت على عدة النقاط وهذه النقاط تنحصر على ما يلي: 1-
موضوع البحث 2- أسباب اختيار الموضوع 3- أهمية البحث 4- أهداف البحث 5-
حدود البحث 6- منهج البحث 7- تفصيل خطة البحث .
تفصيل خطة البحث :

الفصل الأول : مفهوم الأخلاق الفاضلة وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة

الفصل الثاني : مفهوم الدعوة وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : مفهوم الدعوة في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الدعوة في السنة المطهرة

الفصل الثالث : ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة

المبحث الثاني : حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق

المبحث الثالث : الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم،

الشجاعة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الصدق

المطلب الثاني : الأمانة

المطلب الثالث: خلق الوفاء

المبحث الرابع : الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...،
وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الإخلاص

المطلب الثاني : التقوى

المطلب الثالث : الصبر

المطلب الرابع: الحلم والأناة

المطلب الخامس : الرفق

المطلب السادس : العفو والإعراض

المطلب السابع: التواضع وعدم الكبر

المبحث الخامس : أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعاة ألزم الناس بالأخلاق الكريمة

المطلب الثاني: استقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله

المطلب الثالث: صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته

المبحث السادس : آثار الأخلاق الفاضلة على المدعو المسلم وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدلائل العملية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: الدلائل القولية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث السابع : آثار الأخلاق الفاضلة على غير المسلمين وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر هرقل من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وصفته على صحة رسالة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته

المطلب الثاني: أثر صبره صلى الله عليه وسلم في جذب الناس إلى الإسلام

المطلب الثالث: أثر حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع : أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه

الخاتمة : وفيها :

..... خلاصة البحث :

..... أهم نتائج البحث :

..... توصيات البحث :

الفهارس : وفيها

..... فهارس المصادر والمراجع :

..... فهارس المحتويات :

لا يفوتني أن أشكر الله العلى القدير على ما يسر لي من إعداد هذا البحث، ثم أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة بتوجيهاته خلال إعداد لهذا البحث، ولا أدعي أي وصلت بهذا البحث إلى درجة الكمال، ولكن حسبي أني اجتهدت، فإن وفقت فذلك من فضل الله وحده، وإن حصل خطأ أو تقصير فهذا من طبيعة البشر، وأرجو ممن وقف على شئ من هذا أن يبادرني بالنصيحة، وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يجعله عملاً صالحاً خالصاً، والله الموفق والمهدي إلى سواء السبيل.

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد السيد إبراهيم البساطي الذي منحني الكثير من وقته وجهده وعلمه رغم كثرة مشاغله وذلك بالبريد الإلكتروني والتواصل الاجتماعي "اسكيب" أسأل الله أن يجزئه عني خير الجزاء، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول مفهوم الأخلاق الفاضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم

المبحث الثالث : مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة

الفصل الأول

مفهوم الأخلاق الفاضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الأخلاق لغة :

أخلاق جمع خلق، بضم الخاء المعجمة، وبضم اللام وبسكونها. والخلق يطلق على معان هي : الدين ، الطبع ، السجية ،⁽¹⁾ والمروءة ، مأخوذ من الخلق وهو التقدير . قال ابن الفارس : ((الخاء واللام والقاف : أصلان، يدل أحدهما على تقدير الشيء والآخر على ملاسته، أما الأول فيقال فيه خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته ... ومن ذلك : الخلق هي السجية ، لأن صاحبها قد قدر عليه ، وفلان خليق بكذا ، وأخلاق به ، وما أخلاقه أي هو ممن يقدر فيه ذلك ، والخلق : النصيب ، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه . أما أصل الثاني فيقال فيه : صخرة خلقاء أي : ملساء ... ومن هذا الباب : أخلق الشيء وخلق وخلق إذا بلي (...)⁽³⁾

أو هو مأخوذ من الخلق بمعنى الإبداع من غير أصل ولا احتذاء .

(1) لسان العرب لابن المنظور (86/10) والقاموس المحيط للفيروزآبادي (3/ 239) كلاهما في مادة الخلق .

(2) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني من أئمة اللغة والأدب له معجم مقاييس اللغة ، مجمل اللغة وغيرها ، توفي سنة 395 هـ ، انظر بغية الوعاء في طبقات الغويين والنحاة للسيوطي ص (153).

(3) معجم مقاييس اللغة (2/ 213-214) .

قال الراغب : (1) في المفردات والخلق يقال في معنى المخلوق ، والخلق والخلق في الأصل واحد كالشرب، والشرب، والصرم ، والصرم ، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوى والسجاياء المدركة بالبصيرة (2)

ثانيا: تعريف الأخلاق اصطلاحا:

عرف الجرجاني الخلق بأنه "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا³

المبحث الثاني

مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم:

القرآن الكريم فقد استعمل لفظ الخلق في موضعين منه :

الأول: في سورة الشعراء حيث قال الله سبحانه على لسانه (عاد) قوم (هود) عليه السلام في معرض ردهم المنكر على نبيهم حين دعاهم إلى الله تعالى، ورغبتهم بثوابه وخوفهم من عقابه : قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ، إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ (4)

والثاني: في صدر سورة القلم، حين ذب الله عن نبيه المصطفى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأقسم على عصمته من الجنون ، وعلى كمال خلقه حيث قال سبحانه : ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (5)

(1) هو الحسن بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني ، كان أديبا من الحكماء العلماء الأئمة في ذلك ، له مؤلفات كثيرة منها المفردات .

(2) المفردات في غريب القرآن ص (158) .

(3) التعريفات للجرجاني ص (101).

(4) سورة الشعراء، الآية: (136-138).

(5) سورة القلم، الآية: (1-4).

أما الألفاظ الأخرى المقاربة للفظ الخلق في المعنى فاستعمل منها : ((الدأب)) و((السنة)) و ((الفطرة)) وهي من الألفاظ التي تدل على معنى الخلق ، فالدأب : معناه العادة والشأن المستمرة دائما على حاله، وهو بمعنى الخلق الذي يصبح عادة في الإنسان لا يتغير ، وقد ورد أربع مرات في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (1) وقوله تعالى : مِثْلَ ذَأْبٍ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ (2)

وورد لفظ ((دأبا)) أي متتابعاً وذلك في قوله تعالى : قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (3) وبلفظ ((دائبين)) أي : جاريتين في فلكنهما دائما لا يفترقان، وذلك في قوله تعالى : وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (4)

وأما السنة فمعناها : السيرة والطبيعة ، حميدة كانت أو ذميمة فهي بمعنى الخلق ، لأنه يصير طبعا للإنسان وهو مظهر سيرته وقد ورد استعمالها في القرآن الكريم سبع عشرة مرة منها قوله تعالى :

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مِمَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ (5) وقوله تعالى : سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (6)

وأما الفطرة فهي بمعنى الخلقة وهذا من الألفاظ المرادفة للفظ الخلق، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى : فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (7)، والفطرة التي فطر الناس عليها هي دينه الحنيف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد على الفطرة فأبواه

(1) سورة آل عمران، الآية: (11).

(2) سورة غافر، الآية: (31).

(3) سورة يوسف، الآية: (47).

(4) سورة إبراهيم، الآية: (33).

(5) سورة الأنفال، الآية: (38).

(6) سورة الأحزاب، الآية: (62).

(7) سورة الروم، الآية: (30).

يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"⁽¹⁾ وكما فطرهم على دينه الحنيف ، فقد فطرهم على الخير أو الشر ، والسعادة أو الشقاوة والطيبة أو الخباثة ، وهذا ما وقفت عليه مما جاء في القرآن الكريم في الدلالة على معنى الخلق بلفظها أو مقاربتها⁽²⁾

المبحث الثالث

مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة:

السنة المطهرة فقد ورد فيها استعمال لفظ "الخلق" أو "أخلاق" في أحاديث كثيرة في مقامات مختلفة:

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وغيره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)⁽³⁾ وهذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم وقد قال العلماء إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. }⁽⁴⁾

وروينا عن عائشة ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت مكارم الأخلاق صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل والمكافأة وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتدمم للصاحب وقرى الضيف والحياء رأسها قالت وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أحب. وقد أحسن أبو العتاهية في قوله: ليس دنيا إلا بددين ... وليس الدين إلا مكارم الأخلاق⁽⁵⁾

(1) أخرجه البخاري في تفسير الروم (143/6).

(2) ينظر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، الدكتور أحمد ابن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الجزء الأول، ص (55-56).

(3) أخرجه أحمد في المسند (2/381).

(4) سورة النحل، الآية: (90).

(5) تمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جزء (24) ، ص (334).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ أَتِنِي فَانْطَلِقْ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجِعْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ... (1) وعن صفية بنت حيي قالت ما رأيت أحدا أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه و سلم وعند مسلم من حديث عائشة كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه (2)

(1) البخاري ، كتاب بدء الوحي ، جزء 5 ص 59 رقم الحديث (3861).

(2) فتح الباري لابن رجب ، قوله باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، جزء 1 ، ص (557).

الفصل الثاني مفهوم الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : مفهوم الدعوة في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الدعوة في السنة المطهرة

الفصل الثاني

مفهوم الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الدعوة لغة:

للدعوة في اللغة العربية عدة مفاهيم واطلاقات، ذكرها علماء اللغة ودونوها في كتبهم ومن ذلك ما يلي :

يقول ابن فارس : (الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك) (1).

ويقول الجوهري : (دعوت فلاناً، أي : ناديته وصحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، والدعوة المرة الواحدة) (2).

ويقول الزمخشري : (دعوت فلاناً : ناديته وصحت به، والنبي داعي الله، وهم دعاة الحق ودعاة الباطل ودعاة الضلالة) (3).

ويقول الفيروز آبادي : (الدعاء : الرغبة إلى الله تعالى ، دعا دعاء ودعوى والدعاء السبابة وهو مني دعوة الرجل أي قدر ما بيني وبينه ذاك ولهم الدعوة على غيرهم أي يبدأ بهم في الدعاء وتداعوا عليه تجمعوا، ودعاة ساقه... وادعى كذا زعم أن له حقاً أو باطلاً والاسم الدعوة والدعاوة ويكسران (4).

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (279/2)، (مادة : دعا).

(2) الصحاح، للجوهري : (2337/6)، (مادة : دعا).

(3) أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري (189/1)، (مادة : دع و).

(4) القاموس المحيط، (327/4)، (مادة : الدعاء).

ويقول ابن منظور : (الدعوة : المرة الواحدة من الدعاء، ودعا الرجل دعواً ودعاء ناداه، والاسم : الدعوة. دعوت فلاناً أي : صحت واستدعيته... والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية : إذا يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة) (1).

وخلاصة القول : أن الدعوة لها في اللغة عدة معان، وهي مشتقة من الفعل دعا، ولاسم : الدعوة والقائم بها يسمى : داعية، وهي تفيد : إمالة شيء ما إليك بصوت وكلام يكون منك بحق أو باطل.

ثانياً: تعريف الدعوة شرعاً:

هي دعاء المكلفين من الجن والإنس إلى عبادة الله تعالى وتقواه.²

المبحث الثاني

مفهوم الدعوة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم للدلالة على معاني متعددة منها:

- 1- معنى الطلب والاستغاثة : نحو قوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)⁽³⁾، وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)⁽⁴⁾.
- 2- معنى العبادة : نحو قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)⁽⁵⁾. وقوله تعالى : (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁽⁶⁾.

(1) لسان العرب، لابن منظور : (986/1)، (مادة : دعا).

(2) تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة لفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير ص 9

(3) سورة البقرة ، الآية: (23).

(4) سورة الأنعام، الآية: (40-41).

(5) سورة الأعراف، الآية: (194).

(6) سورة القصص، الآية: (88).

3- معنى القول : نحو قوله تعالى: (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) (1). وقوله تعالى : (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (2).

4- معنى النداء : قوله تعالى : (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ) (3).

5- معنى السؤال : نحو قوله تعالى : (قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون) (4). وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ اذْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ) (5).

6- معنى الجعل : نحو قوله تعالى : (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) (6).

7- النسبة : نحو قوله تعالى : (دَعْوَاهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (7).

8- معنى من الدعوة إلى الشيء بمعنى الحث على قصده: نحو قوله تعالى : (اذْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالنِّبَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (8).

وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) (9).

(1) سورة الأعراف، الآية: (5).

(2) سورة يونس، الآية: (10).

(3) سورة القمر، الآية: (6).

(4) سورة البقرة، الآية: (68).

(5) سورة غافر، الآية: (49).

(6) سورة مريم، الآية: (91).

(7) سورة الأحزاب، الآية: (5).

(8) سورة النحل، الآية: (125).

(9) سورة يوسف، الآية: (33).

9- معنى التسمية : نحو قوله تعالى : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1).

10- معنى الرفعة : نحو قوله تعالى : (لَا جَرَمَ لِمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) (2).

11- معنى العرض : نحو قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ) (3) أي عرضها عليكم.

12- معنى العذاب : نحو قوله تعالى : (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) (4). أي تعذب (5).

المبحث الثالث

مفهوم الدعوة في السنة المطهرة:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَبْدَعُ بِي فَاحْمِلْنِي فَقَالَ « مَا عِنْدِي ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَذُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ دَلَّ عَلَى حَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » (6).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ (7).

(1) سورة النور، الآية: (63).

(2) سورة غافر، الآية: (43).

(3) سورة غافر، الآية: (41).

(4) سورة المعارج، الآية: (17).

(5) الحكمة والموعظة الحسنة وآثارها في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة لدكتور أحمد بن نافع بن سليمان المورعي، ص : (21-22).

(6) صحيح مسلم، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله : رقم الحديث (5007/6)، ص : (41).

(7) متفق عليه : البخاري : الزكاة (1395)، صحيح مسلم : الإيمان (19).

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (1).

(1) صحيح البخاري، الإيمان (57).

الفصل الثالث

ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة

المبحث الثاني : حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق

المبحث الثالث : الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم....،

المبحث الرابع : الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر....،

المبحث الخامس : أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية

المبحث السادس : آثار الأخلاق الفاضلة على المدعو المسلم

المبحث السابع : آثار الأخلاق الفاضلة على غير المسلمين

الفصل الثالث

ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة:

لقد من أجل غايات بعثة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إتمام مكارم الأخلاق كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيما رواه عنه أبي هريرة رضى الله عنه رفعه إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق⁽¹⁾ وفي رواية: مكارم الأخلاق⁽²⁾ وفي رواية: "بعثت لأتمم حسن الأخلاق"⁽³⁾

فترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قصر هدف بعثته في هذا الحديث على إتمام مكارم الأخلاق التي كانت الأنبياء قبله قد بعثت بها ، وبقيت منها بقية تحتاج إلى مزيد بيان بل ما بينته منها كانت الأمم قد ضلت عن كثير منها لا سيما الأمة العربية ، فبعث صلى الله عليه وسلم ليتم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه ، وبما خص به في شريعته مما لم يكن قبله من مكارم الأخلاق .

وقد جاء في القرآن الكريم يؤكد هذا الأصل الأخلاقي في غير ما آية ، فقد قال جل شأنه : مَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ⁽⁴⁾ وقال سبحانه تعالى : لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

(1) أخرجه احمد في المسند (2/ 381)، ورجاله رجال الصحيح .

(2) وهذا لفظ البزار كما حكاه عنه الهيثمي في المجمع .

(3) وهذه رواية مالك في الموطأ (2/ 211) ، باب ما جاء في حسن الخلق.

(4) سورة البقرة، الآية: (151).

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (1) وقال عز وجل : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)
فيخبر الله تعالى في هذه الآيات أنه بعث نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ليزكي عباده .

أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق وندس النفوس وأفعال الجاهلية التي كانوا قد تلبسوا بها بعد فترة من الرسل ، وذلك ما كان قد دعا به أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث دعا الله تعالى أن يبعث في الأمة رسولا من بعده يجدد دعوته ويحيي تزكياته كما قص الله تعالى ذلك عنه بقوله : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3)

فإذا كان من أعظم الغايات هو إتمام مكارم الأخلاق وتزكية الأمة فمعنى ذلك أن شريعته الغرا التي بعث بها ذات أسس أخلاقية عليها تقوم وبها تنفذ في كل جوانبها ، الإيمان والتعبدية والتعاملية ، فلا يزكو إيمان ولا عبادة ولا عمل لم يكن مصبوغا بالصبغة الأخلاقية الفاضلة ، إذ ليس من خلق كريم ولا فعل جميل إلا وقد وصله الله بالدين (4)
وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من الأحاديث التي ربط فيها بين الجوانب الإيمانية والتعبدية ، وبين السلوك الأخلاقية .

ولهذا حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على الالتزام بالأخلاق الفاضلة ورغبتهم فيها ، وحذرهم من التخلق بالأخلاق السيئة ، وذلك بأفعاله وأقواله التي نذكر منها طرفا صالحا إن شاء الله تعالى . (5)

المبحث الثاني

(1) سورة آل عمران، الآية: (164).

(2) سورة الجمعة، الآية: (2).

(3) سورة البقرة، الآية: (129).

(4) كما قال ابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق ص (44).

(5) أخلاق النبي في القرآن والسنة لدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ، جزء الأول، ص (44-47).

حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق فمن ذلك :

- 1- عن مسروق رضى الله عنه قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو ويحدثنا إذ قال "لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وإنه كان يقول إن خياركم أحاسنكم أخلاقا"⁽¹⁾ والحديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان داعية صدق إلى أنبل الأخلاق والأمة معينة باقتفاء نهج نبيها في السلوك الفعلي كما هي معينة بامثال أقواله لقوله كما قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا "⁽²⁾
- 2- عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبدالرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " ⁽³⁾ فأوصاه بتقوى الله في معاملته لربه، ومعاملته للناس بأن يخالفهم بخلق حسن، وهنا في الحديث أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيرا، يعني: أنه يرفق بهم ويعاملهم المعاملة اللائقة بهم، ولا يسيء إليهم، بل يحسن إليهم.⁽⁴⁾
- 3- حديث أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق"، وهذا فيه إثبات الميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وهو يدل على عظيم شأن حسن الخلق وثوابه عند الله عز وجل، وأنه من أثقل ما يكون في الميزان عندما توزن الأعمال؛ لأنه من أجل وأفضل الأعمال.⁽⁵⁾
- 4- حَدِيثُ عَائِشَةَ فَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِهِمَا وَأَلْفُظُهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ .⁽⁶⁾

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، باب ما ينه عنه من السباب اللعن ، جزء 23 رقم الحديث (6035) ، ص (228).

(2) سورة الأحزاب، الآية: (21).

(3) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن وفي بعض النسخ : حسن صحيح .

(4) شرح سنن أبي داود ، عبد المحسن العباد ، جزء 14 ، ص (101) .

(5) شرح سنن أبي داود ، عبد المحسن العباد ، جزء 24 ، ص (429).

(6) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي المؤلف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، باب ما جاء في حسن الخلق، جزء 5، ص (250) .

5- حديث أنس رضى الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم أحسن الناس أي أحسنهم خلقا وخلقنا وأجود الناس أي أكثرهم بدلا لما يقدر عليه وأشجع الناس أي أكثرهم إقداما مع عدم الفرار.(1)

6- عن جابر رضى الله عنه رفعه إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا(2) وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في السنة المطهرة .

ففي هذه الأحاديث العظيمة حض عظيم على التحلي بمحاسن الأخلاق ، لما فيها من بيان لفضله وعظيم أجره ومنزلته عند الله ، ولذلك لا يتولى المؤمن الحق عند سماعها ودرابيتها عن المبادرة إلى التحلي بمحاسن الأخلاق حرصا على نيل فضلها ، وهي غيظ مما حث به النبي صلى الله عليه وسلم أمته على لزوم مكارم الأخلاق التي بعث بتمامها والبعد عن مساوئها .

وقد علمت من خلالها ما للأخلاق الزاكية من مكانة في الإسلام حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم معيار الخيرية هو حسن الخلق،(3) بل إن الدين كله خلق كما فسر حبر الأمة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في مدح نبيه صلى الله عليه وسلم "وإنك لعلى خلق عظيم" فقال أي على دين عظيم(4) فسمى الدين كله خلقا.

المبحث الثالث

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، باب حسن الخلق والسخاء ، جزء 10 ، ص (457) .

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف : بدر الدين العيني الحنفي ، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ، جزء 32 ، ص (219).

(3) بعد الإيمان بالله وملائكته... الخ.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره ج (29 / ص 18) .

الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم، الشجاع وفيه ثلاثة مطالب:

نريد بالوسائل ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزكية مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير بالكلام فقط.

فإن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم على أحقية الإسلام وأنه من عند الله، لا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل. ومن السوابق القديمة في أهمية الأخلاق الحسنة للداعي وأثرها في تصديقه والإيمان بما يدعو إليه أن خديجة بنت خويلد رضى الله عنها عندما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث له في غار حراء فقالت خديجة: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُحْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،⁽¹⁾ في أوصاف آخر جميلة عدتها من أخلاقه تصديقاً منها له وإعانة على الحق⁽²⁾

وروي أيضاً أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: من أنت؟ قال أنا محمد بن عبد الله؟ قال الأعرابي أنت الذي يقال عنك انك كذاب؟ فقال أنا الذي يزعمونني كذلك فقال الأعرابي: ليس هذا الوجه وجه كذاب، وما الذي تدعو إليه؟ فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدعو إليه من أمور الإسلام فقال له الأعرابي آمنت بك وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فالأعرابي استدل بسمت رسول الله ووجهه المنير

(1) الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، جزء الأول، رقم الحديث 3 ص 3

(2) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص (549-550).

الكريم الذي يكون عليه أهل الصدق والأخلاق الكريمة، استدل بذلك على صدقه فيما يدعو إليه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول

الصدق:

الصدق هو من ووسائل الدعوة فتمثل خلق الصدق في النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان الصدق خلقا تدعو إليه الفطرة وتجنده، ولو يكن هناك شرع يدعو إليه ويرغب فيه، فإن كل ذي فطرة سليمة يحافظ عليه ويلتزم به في كل شؤونه.

وقد شهد له بهذا الخلق العظيم : الله خير الشاهدين، كما شهد له بذلك أعداؤه، وشهد له به المؤمنون في مواقف متعددة ومقامات مختلفة.

شهادة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بخلق الصدق :

أما شهادة الله تعالى ليسدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق العظيم بخصوصه، زيادة على شهادته سبحانه له بعظمة الأخلاق عامة.

ففي آيات من كتابه المبين منها قوله سبحانه : (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (1). ، قوله : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (2). والذي جاء بالصدق كما يدل سياق هذه الآية هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد شهد لما جاء به من عنده سبحانه أنه صدق، ويلزم من صدق ما أتى به، صدقه هو في نفسه، إذ لا يأتي بالصدق إلا كامل الصدق.

شهادة أعدائه صلى الله عليه وسلم له بالصدق :

(1) سورة الأحزاب، الآية : (22).

(2) سورة الزمر، الآية : (32).

أعداء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بهذه المثابة، حيث لم يقدرُوا على غمطه في أخلاقه العظيمة، بل اضطروا إلى والشهادة بها في مواقف عديدة، ولو قدرُوا على غمزه ولمزه بشيء ولو قليل في أخلاقه لكفاهم ذلك في صد الناس عن دعوته ويسر لهم الجهد الذي بذلوه في ذلك : فأبو سفيان لما سأله هرقل عن صدق وقال له : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان : لا، هكذا يشهد له بهذه الحقيقة التي لا تغالب، فعندئذ قال له هرقل : " وسألتك هل كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله" (1).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : : لَمَّا نَزَلَتْ { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعَدَ الصَّخَا فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهُ فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيًّا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2).

هكذا يعترف له قومه أجمعون بالصدق، وعدم عثورهم على ما يناقض هذا الخلق منه، وهم وإن لم يكونوا قد ناصبوه العداً آنذاك، إلا أن هذه الشهادة وغيرها طلت قائمة لا ينازعون فيها، ولم يسحبوها حينما جاهرهم بالدعوة فناصره العداً، وقد حرصوا بعد ذلك على صد الناس عن الإيمان كل الحرص، وبذلوا كل جهد، غير أنهم يقدرُوا أن ينالوا من صدقه وأمانته وعفافه... (3)

المطلب الثاني

- (1) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ص : (56/4).
- (2) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ص : (221/6).
- (3) ينظر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة - ل الدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، ص : (416-413/1).

الأمانة:

تنويه القرآن الكريم بخلق الأمانة :

أما تنويه القرآن الكريم بهذا الخلق فهو تنويه عظيم دل على عظم منزلة الأمانة عند الله تعالى، وبالغ اثرها في استقامة المجتمع، ووضوح دلالتها على تحلي المرء بمكارم الأخلاق من عدمه وذلك في آيات كثيرة من الذكر الحكيم منها قوله تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا⁽¹⁾

فإن فهذه الآية من التنويه بالأمانة ما يجل عن الوصف، حيث أفادت أن السماوات والأرض والجبال، مع عظم أجرامها وبالغ ثقلها، وشدة قوتها، أبين حملها استصغار لأنفسهن عن حملها، وأشفقنا أي خفن من تحمل تبعاتها، وما ذلك إلا لإدراكهن أن تحملها عظيم خطره، وكبير تبعته.

تمثل خلق الأمانة في النبي صلى الله عليه وسلم :

نبينا محمد صلى اله عليه وسلم قد كان في ذروة الذري من هذه الأخلاق، وكماله فيها فاق كل كمال، كما تشهد لذلك الوقائع والدلائل الآتية : فقد نشأ يتيما مطبوعا على الصدق والأمانة لا يعرف لهما بديلا منذ نشأته وترعرعه، وهو لا يكاد يعرف في أوسط أقوامه غلا بالأمين فيقولونك جاء أمين وذهب أمين⁽²⁾ حتى حل محل الرضا من قلوبهم وعقولهم، كما دل على ذلك احتكامه غليه في قصة رفع الحجر الأسود عند بنائهم الكعبة المشرفة بعد تنازعهم في استحقاق شرف رفعه ووضعه في محله، حتى كادوا يقتتلوا لولا اتفاقهم على تحكيم أول داخل يدخل المسجد الحرم ، فكان ذلك الداخل هو محمد صلى الله عليه وسلم المرضى لديهم أجمعين ((فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم،

(1) سورة الأحزاب، الآية: (72).

(2) أنظر سيرة ابن هشام (207/1).

وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه هو بيده ثم بنى عليه، قال ابن هشام : ((وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين)).

هكذا كان خلق الأمانة سببا لترشيح هذا الشاب اليتيم لحل فتنة كادت تشتعل بين بطون قريش فتودي بحياة كثير منهم لولا أن الحكمة أن العظيمة من صاحب الأمانة العظيمة أطفالها، وما كان لهذه الحكمة أن تبرز لو لم يكن خلق الأمانة قد مهد الطريق أمامها، مما جعلهم يرضون بحكمه دون أن يتسرب إليهم شك في محاباة أو مداينة فئة على أخرى، لعلمهم بعظيم أمانته وثقتهم به.⁽¹⁾

المطلب الثالث

خلق الوفاء:

فقد رغب الله تعالى بالوفاء بالعهد بما أعده الله لهم من الثواب وبما أثنى به عليهم في محكم الكتاب فقال: وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا⁽²⁾ وقد فصل في آيات أخرى عظمة ذلك الأجر فقال: تَمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ إِلَى قَوْلِهِ : أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ⁽³⁾.

تمثل خلق الوفاء في النبي صلى الله عليه وسلم

(1) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة لدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ص: (531-539).

(2) سورة الفتح، الآية: (10).

(3) سورة الرعد، الآية: (19-24).

لقد كان خلق الوفاء من أخلاق النبوة فما من نبي يصطفيه الله تعالى لنبوته ورسالته إلا غرس فيه من صفات الكمال ومعالي الأخلاق ما يكون بها جليلا في نفسه، وموضوع ثقة الناس به، ومصدر تأسئهم به، كما علمت مما قصه الله تعالى عن بعض أنبيائه كإبراهيم ويوسف عليهما السلام وما ثبت لنبي من خصال الكمال يثبت لغيره من الأنبياء، لأنهم جميعا في عناية الله ورعايته واصطفائه، وغرس خصال المكارم فيهم سواء، لذلك بعثوا كلهم بمكارم الأخلاق، وبعث سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليتم مكارمها.

وفاءه صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى:

أما وفاءه عليه الصلاة والسلام مع الله تعالى، فهو وفاء عظيم بعهوده وطاعته، بامثال أمره واجتناب نهيه. كما قال الله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.¹

وفاءه صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

الدليل على ذلك كثير شهير منها :

وفاءه صلى الله عليه وسلم لحاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه مع فعلته الكبرى التي فعلها، وهي إفشاء سر رسول الله في أشد المواقف خطورة وهو موقف الغزو، الذي لا تغفر البشرية لمثله ... فلما أطلع الله نبيه على ذلك، مكنه من إحباطه وراوده أصحابه منهم عمر رضى الله عنه في ضرب عنقه، قال عليه الصلاة والسلام : إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم⁽²⁾

وفاءه صلى الله عليه وسلم لأزواجه:

(1) سورة النحل، الآية: (44)

(2) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الفتح 184/5.

وأما وفاءه صلى الله عليه وسلم لأزواجه فكان عظيماً أيضاً وشواهدة كثيرة: فلما انزل الله تعالى آية التخيير وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا.¹

عندئذ بدأ فخير عائشة وطلب منها أن لا تستعجل حتى تستأمر أبوها، وذلك وفاء عظيم منه لهذه الزوجة التي هي حديثه السن فقد لا تدرك من هي في سنها مصلحتها الكاملة، وما هو خير لها وأبقى، فتغير بزينة الحياة الدنيا، فتخسر الدنيا والآخرة فقال لها: "لا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك" وقد علم أن أبوها لم يكونا يأمرانها بفراقه لما يعلمانه من صالح أمرها عاجلاً وآجلاً، ولما اختارت الله ورسوله من غير أن تستأمر أبيها، بل قالت: "ففي لأي هذا استأمر أبوي: فياني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" وقالت للنبي صلى الله عليه وسلم "أسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت" فلم يقبل منها عليه الصلاة والسلام هذا الطلب، بل وثق لهن كلهن وقال: "لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها"⁽²⁾.⁽³⁾

المبحث الرابع

الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...

وفيه سبعة مطالب:

للأخلاق أهمية بالغة في حياة الدعاة إلى الله تعالى والقائمين على إيصال الدعوة إلى الناس، وذلك لأمر الله تعالى بها، والالتزام النبي صلى الله عليه وسلم وتحليه بالأخلاق العالية والرفيعة، وتمسك السلف الصالح بالأخلاق الكريمة، وكذا لما يتطلبه العمل الدعوي من خلق

(1) سورة الأحزاب، الآية: (28-29)

(2) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأحزاب 146/6.

(3) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، ل د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ص: 562-567.

رفيع وسجايا عالية وتعليل ذلك أن الدعية يخاطب جميع الناس على مختلف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطبقاتهم مع تعدد أعرافهم وتقاليدهم وتنوع أخلاقهم وطباعهم ومدى استجابتهم للحق أو الوقوف ضده.

وأخلاق الداعي المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في القرآن الكريم وفصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم وهي لازمة لكل مسلم،⁽¹⁾

المطلب الأول

الإخلاص:

يقصد بالإخلاص لغة : الصفاء من الكدر والشوائب⁽²⁾
وأما المقصود بالإخلاص اصطلاحاً : فهو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين⁽³⁾.
وقيل الإخلاص هو : التبري عن كل ما دون الله تعالى⁽⁴⁾.
وقيل الإخلاص : تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته⁽⁵⁾.
والإخلاص روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع إلى الله، فإذا غاض هذا المعنى أو تضاعل لم يبق هناك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة⁽⁶⁾.
والمتمل في الإخلاص : يجده ثمرة الدين، وقلبه، وأساسه الذي يبنى عليه، فإذا صلح هذا الأساس فقد صلح البناء، وإذا فسد الأساس، فسد جميع ما انبنى عليه.
وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في أكثر من آية ومن ذلك :

(1) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص 333 .

(2) انظر : مختار الصحاح، للرازي ص : 184 (مادة : خلص).

(3) مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية : (91/2).

(4) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص : (154).

(5) التعريفات : للجرجاني ص : (34).

(6) مع الله : دراسات في الدعوة ، محمد العزالي ص : (202).

قوله تعالى : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (1)

ومن السنة : ما رواه زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث لا يغفل عنهم قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم" (2).

وعلى الداعية أن يراعي الإخلاص في قلبه، ويتفقد أحواله، ويعالج ما اعوج منه، ويصلح ما خرب منه وذلك عن طريق تصفية حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنيا، والتجرد للآخرة، بحيث يغلب ذلك على القلب، ويصبح نقيا مثل الثلج، بعيدا كل البعد عن القلوب الشبيهة بالأكواز المخجية.

وخلاصة القول : إن الإخلاص : إن الإخلاص مطلب هام، وخلق أساس في حياة الداعية، وهو وإن لم تر حقيقته الخفاء، إلا إن آثاره خير شاهد عليه.

المطلب الثاني

التقوى:

حقيقة التقوى : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وذلك بإتباع أوامره واجتناب وإيصال القول للناس دون تحريف أو تزيف. ومن تقوى الداعية كذلك : حفظ الخير في الناس، وإرادة المعروف لمن يدعوهم، وتحذيرهم هم الشر، وعدم غشهم في ذلك، والحذر من التخليط عليه، كما يدخل في تقوى الداعية : التزامه بحقيقة منهج الدعوة، القويم، وعدم العدول عنه، أو استبداله بمنهج أخرى مبتدعة، ومخترعة من عند الناس، مهما تبرقت

(1) سورة البينة، الآية : (5).

(2) سنن ابن ماجه (84/1).

وتزينت، وادعت الادعاءات الكاذبة الخادعة. وغني عن القول : أن من أهم مطالب التقوى لدى الداعية ، التزامه بالحلال وبعده عن الحرام في كل الأحوال والأوقات والظروف، فهذا من أسباب النجاة والمخارج من المصاعب والمشكلات، كما أنه سبب عظيم في معية الله تعالى للداعية وتعليمه له، قال تعالى : فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (1)

المطلب الثالث

الصبر:

يعرف الصبر بأنه : حبس النفس وكفها عن الجزع (2).

وأما في الاصطلاح فقد بتعاريف متعددة منها :

وقال الإمام ابن قيم الجوزية : (هو : حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش) (3).
ويعتبر الصبر من أشهر الأخلاق الإسلامية، وأسمى المطالب الشرعية، وقد احتفى به القرآن الكريم والسنة النبوية، وتمثل به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وبقية السلف الصالح، والعلماء الفضلاء والدعاة والنبلاء.

قال تعالى : فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (4)

وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين

(1) سورة الطلاق، الآية : (2).

(2) مختار الصحاح، للرازي ص : (354) والمصباح المنير، للفيومي : (392/1).

(3) مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية : (156/2).

(4) سورة الأحقاف، الآية: (35).

السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها) (1).

المطلب الرابع

الحلم والأناة:

يعرف الحلم بأنه : الطمأنينة عند الغضب، وقيل، هو : تأخير مكافأة الظالم (2) أما الأناة فهي : الثبوت (3).

والحلم والأناة من خلق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (4)

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من اتصف بالحلم والأناة وهو أشج عبد القيس بقوله : (إن فيك خصلتين يجبهما الله : الحلم والأناة) (5).

والداعية إلى الله تعالى بأمس الحاجة إلى التخلص بالحلم والأناة وعدم التسرع والطيش والعجلة.

ولهذا فإن الداعية الذي يتصف بالحلم والأناة يكون مرشداً يهدي إلى الخير، ونوراً يهدي إلى الرشده، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هادئ النفس، ومطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق فتتفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، بل يكون في مجتمعه كالأب العطوف، والأخ الشفوق، قدوته في ذلك إمام الداعين محمد صلى الله عليه وسلم (6).

(1) صحيح مسلم، (203/1).

(2) التعريفات، للرجزاني، ص : (92).

(3) شرح النبوي على صحيح مسلم : (189)

(4) سورة هود، الآية : (75).

(5) صحيح مسلم، (48/1).

(6) انظر : الدعوة الإسلامية، د خليفة حسين العسال، ص : (138).

المطلب الخامس

الرفق:

يعرف الرفق بأنه : لين الجانب، وهو خلاف العنف (1).

والرفق خلق إسلامي عظيم، وأدب جم رفيع، حري بكل داعية أن يتخلق ويتأدب

به.

والمتأمل في حال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يجد أنهم غاية في الترفق

بالناس، واللين معهم، رجاء هدايتهم دخولهم في الدعوة.

قال تعالى : أمراً موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالرفق واللين مع فرعون : اذْهَبَا

إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (2).

والمتأمل في أحوال كسب القلوب صلى الله عليه وسلم، ودانت النفوس، وأحبه

الناس.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال، قام أعرابي فبال في السجد، فتناول الناس، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم : "دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوباً من ماء فإنما

بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين" (3).

المطلب السادس

العفو والإعراض:

يعرف العفو بأنه : التجاوز عن الذنب، وقيل هو : إسقاط الحق الذي على الغير (4).

وأما الإعراض فيعرف بأنه : الصد والتولي والإشاحة بالوجه (5).

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري (246/2).

(2) سورة طه، الآية : (43-44)

(3) متفق عليه : صحيح البخاري : (91/1)، صحيح مسلم : (236/1).

(4) معجم لغة الفقهاء، د محمد رواس قلعة جي وزميله، ص : (316)

(5) معجم لغة الفقهاء، د محمد رواس قلعة جي وزميله، ص : (77).

والعفو والإعراض خلقان إسلاميان عاليان تقتضيهما الحياة الاجتماعية السليمة الآمنة المطمئنة.

قال تعالى : **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** (1)

يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره للآية الكريمة : (خذ العفو) أي : من أخلاق الناس وأعمالهم واترك الغلظة عليهم، و (بالعرف) هو المعروف ومنه صلة رحم من قطع، وإعطاء من رحم، والعفو عمن ظلم، وكل ما أمر الله به من الأعمال، أو ندب إليه فهو من العرف، ولم يخص الله من ذلك معنى دون بعض. وأما قوله : (وأعرض عن الجاهلين) فإنه أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل، وذلك وإن كان أمراً لنبيه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلفه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم (2).

ومما قاله الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره للآية الكريمة : (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم) (3).

وقد حفلت حياة داعية الإسلام الأول محمد صلى الله عليه وسلم بكل معاني العفو والإعراض عن المعاندين والجاهلين.

المطلب السابع

التواضع وعدم الكبر:

التواضع ضد الكبر، وهو من جليل الخصال، وعظيم الأخلاق، وأبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله.

التواضع في الحقيقة هو : إلانة الجانب مع عزة في النفس وإباء للضميم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء (4).

(1) سورة الأعراف، الآية : (199).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، لان جرير الطبري (152/6-154).

(3) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ص : (313).

(4) صفات الدعاة، د. حمد بن ناصر العمار، ص : (57).

وقد أمر الله تعالى بالتواضع، فقال سبحانه : **وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** (1). وكان صلى الله عليه وسلم متواضعا حتى أخجل تواضع الإنسانية، بعيداً كل البعد عن الكبر أو التجبر على الناس.

فعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)** (2).

والتواضع يزيد من رفعة الداعية وكل من يتحلى به ولا ينقص من قدرهم، أو يختزل من مكانتهم الاجتماعية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)** (3).

والداعي إلى الله تعالى أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق، وإلى أخلاق الإسلام فكيف يكون عارياً من التواضع.

المبحث الخامس

أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية

وفيه ثلاثة مطالب:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وأمنهم أمانة حتى سماه قومه: **(الأمين)** لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم

(1) سورة الشعراء، الآية : (215).

(2) صحيح مسلم : (2198/4).

(3) صحيح مسلم : (2001/4).

المؤمنين خديجة رضي الله عنها؛ يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق.

المطلب الأول

الدعاة ألزم الناس بالأخلاق الكريمة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز في قومه بخلال عذبة، وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه: (الأمين) لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق⁽¹⁾.

المطلب الثاني

استقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله:

إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي قبل قيامه بالدعوة، وكثيراً ما رأينا أناساً قاموا بدعوة الإصلاح، وبخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم ما يذكرونه لهم من ماض ملوث، وخلق غير مستقيم.

أما الداعية المستقيم في شبابه، فإنه يظل أبداً رافع الرأس ناصع الجبين، لا يجد أعداء الإصلاح سبيلاً إلى غمزه بماض قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف تكأةً للتشهير به، ودعوة الناس إلى الاستخفاف بشأنه، نعم إن الله يقبل توبة التائب المقبل عليه

(1) الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، (ص:53)، والحديث أخرجه البخاري، (3) باب كيف كان بدء الوحي ...، وأخرجه مسلم، (160) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بصدق وإخلاص، ويمحو بحسناته الحاضرة سيئاته المنصرمة، ولكن هذا شيء غير الداعية الذي ينتظر لدعوته النجاح إذا استقامت سيرته وحسنت سمعته⁽¹⁾.

المطلب الثالث

صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته:

من أهم المهمات في عالم الدعوة إلى الله، صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته، أخلاقه تدعو الناس إلى الانجذاب نحوه، إن سمته ليجذب من حوله فيأتون إليه، وهناك تكون الفرصة للتأثير أكثر مما لو ذهب إليهم، مع أنه ينبغي أن يأتيهم، فهذا الخلق هو الذي يجذب الناس كما تجذب الأزهار النحلة، وإذا أتى الداعية فإن المهمة تسهل عليه⁽²⁾.

(1) السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، (ص:20)

(2) أثر الأخلاق في نجاح الداعية، محمد صالح المنجد، (محاضرة مفرغة).

المبحث السادس

آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو المسلم

وفيه مطلبان:

لقد نال رعييل الأول من رجال الإسلام هم الصحابة الكرام رضى الله عنهم أعظم تشريف وأجمل تكريم حيث اختارهم الله تعالى لصحبت نبيه صلى الله عليه وسلم. إن مظاهر تأثير الصحابة رضى الله عنهم بالأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة ككثرة الصحابة أنفسهم، إذ ما من أحد ينال شرف الصحبة إلا خامر قلبه بالغ الحب وكامل الإعزاز والتعظيم لهذا النبي العظيم لما يرون فيه جمال المحاسن الأدبية والخلقية التي حمل الله تعالى بها.

فقد قال أنس رضى الله عنه إن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة قال : (ويلك وما أعدت لها)؟ قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال (إنك مع من أحببت) قال أنس : فقلنا ونحن كذلك ؟ قال (نعم) قال : فرحنا يومئذ فرحا شديدا⁽¹⁾.

فإذا كان هذا الأعرابي البدوي قد خامر قلبه محبة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث جعل ذلك أرجى كان ما يقدم به على الله، وهو لم يشاهد من عظمة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا النزر اليسير، ولم يخالطه إلا قليلا فكيف بمن كان كثير الملازمة له؟ فهذا زيد بن الدثنة رضى الله عنه يقول وقد اشرف على القتل والصلب لأبي سفيان الذي سأله : أيجب أن يكون في أهله ومحمد في مكانه تضرب عنقه؟ فأجاب بقوله : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهله مما أدهش أبا سفيان بسبب هذه المحبة العظيمة فما ملك أن قال : (وما رأيت من الناس أحدا يجب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا)⁽²⁾.

(1) متفق عليه ص : (216)

(2) سيرة ابن هشام 225/3

المطلب الأول

الدلائل العملية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم:

أما الدلائل العملية فمن اجل مظاهرها التضحية والفداء الذي كان يقوم به الصحابة الكرام في سبيل نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وشواهد ذلك كثيرة من أجلها المواقف التالية :

1- موقف علي رضي الله عنه ليلة الهجرة المباركة :

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عزم على الهجرة بعد أن أطلععه الله تعالى على ما تبينه قريش له في تلك الليلة، وأخبره جبريل أن لا يبيت تلك الليلة على فراشه كي لا يفتن له الكمين التي أعدته قريش من خيرة شبابها ليضربوه ضربة رجل واحد، بنفسه هو وأبي وأمي فتقدم علي رضي الله عنه ، ونام على الفراش، وهو يدرك أن السيوف مصلطة تريد أن تهوى على الخارج من البيت لعلمهم الجازم بأنه لا يخرج منه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أنه لم يعبا بذلك وخاطر بنفسه ليقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكر الذي بيته أولئك الأشقاء لرسول السلام والإسلام والهداية والرحمة⁽¹⁾

2- وعن أنس بن مالك : أن المشركين لما أرهقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش قال من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلما أرهقوه أيضا قال من يردهم عني وهو رفيقي في الجنة حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه ما أنصفنا إخواننا.⁽²⁾

وهذا ضرب من الخلق العالي النبيل الذي بيديه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفا على هؤلاء الرجال الكرام .

3- وعن أنس بن مالك قال: لما كان يوم أحد خاض أهل المدينة خيضة وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولاً فلما مرت على أحدهم ص.166

(1) انظر سيرة ابن هشام 223/2.

(2) أخرجه مسلم في الجهاد، باب غزوة أحد رقم الحديث 1789 .

قالت : من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك. تقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يقولون: أمامك حتى دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذ سلمت من عطب.⁽¹⁾

وهكذا كانت محبة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة فاقت محبة النفس والمال والولد والزوج والقريب ومحبة كل حبيب، فهل بعد هذه المحبة البالغة العظيمة محبة؟ وهل بعد هذا الجنان والعطف من نظير لهما في تاريخ البشرية كلها؟ هل كان شيء من ذلك بسبب رهبة أو خوف؟ كلا وإنما هي تأتي من طوع النفس في القلب لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمة الخلق فجعلتهم ينزلونه تلك المنزلة العظيمة الفذة الفريدة في التاريخ البشرية كله.

المطلب الثاني

الدلائل القولية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم:

أما الدلائل القولية التي كان يفوه بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيراً عن عظيم محبتهم لرسول الله فهي على ذلك النحو من الكمال والعظمة وهي من الكثرة أيضاً ونذكر شيئاً منها :

فمن ذلك قول سيدنا عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "لأنتع يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسي، فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال عمر رضي الله عنه : "فأنت الآن أحب إلي من نفسي" فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "الآن يا عمر"⁽²⁾

فتأمل مدلول هذا الحوار تدرك أبعاد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب صاحبه الفاروق رضي الله عنه، حيث أطلع النبي عليه الصلاة والسلام على مكنون حبه له، ولما كان صريحاً صادق اللهجة لم يكتمه أن حبه لنفسه كان فائقاً على محبة كل شيء سواها، غير أنه لم يبرح أن اضمحل حبه لنفسه عندما علم أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ج: 6 ، ص: (99).

(2) رواه البخاري وتقدم ترجمته، ص : (1102).

فائقة على محبة النفس وما سواها، وأنها لو كانت دون ذلك لم تكن نافعة ولا مقبولة، فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما استقر في فؤاده من فائق محبه حتى على نفسه التي بين جنبيه، وعندئذ أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدوى محبته له حينئذ.

ونحو ذلك ما روته عائشة رضی الله عنها قالت : جاء رجل (1) على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك أحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك! فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية : مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (2) فتأمل مبلغ هذه المحبة التي كان يضمها هذا الصحابي الكريم رضی الله عنهم، فقد جعلته يفكر ويدبر التفكير في حاله بعد الموت، الذي يخشى عنده أن لا يرى النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل في الدنيا، لما يرى من افرق الهائل بين منزلته منه لو أنه دخل الجنة، فكيف به إذا لم يدخلها، فيرى أن أعظم أساه سيكون في عدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وإن أنعم الله تعالى عليه يدخل الجنة، فإن عدم رؤيته له يشغله عن نعيمها ولا يكون منعماً كما يجب إذا لم يكن يرى النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت محبة الصحابة كلهم على مثل هذا النحو البالغ عظمة.

ولا ريب فقد كان حديثوا العهد بالكفر عندما يشرق عليهم نور الإيمان لا يرحون حتى

يعلنوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغ محبتهم له :

1- فثمامة بن أثال الحنفي رضی الله عنه ما إن خالط بشاشة قلبه نور الإيمان بسبب المعاملة الحسنة من النبي صلى الله عليه وسلم التي لقيها أثناء أسره، والأخلاق العظيمة التي رآها عليه، ما إن حصل له ذلك حتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم : "يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من

(1) هو ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات.

(2) سورة النساء، الآية: (69).

دين أبغض إلي من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد من أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي" (1)

2- وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان التي كانت شديدة العداة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي فعلت بحمزة بن عبد المطلب يوم أحد ما فعلت، لما أشرب قلبها الإيمان وخالط بشاشة قلبها، لم تلبث أن قالت : يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل أخبائك، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل خبائك... (2)

3- وعمرو بن العاص الذي كان أحد دهاة قريش وقوادها في حروبها مع النبي صلى الله عليه وسلم، لما هداه الله تعالى للإسلام وعرف عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وأخلاقه وسماحة دينه، قال قولته المشهورة : "ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالا له، ولو شئت أن أصفه ما أطق لأبي لم أكن أملاً عيني منه... (3)

وهكذا كان الصحابة الكرام رضوان الله عنهم يعبرون عن عظيم محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواء في ذلك من كان له فضل سبق إلى الصحبة، أو هو حديث عهد بها، وذلك لما يلمسونه من جنابه العظيم من عظمة الأخلاق التي كانت تجعل من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه "فاكتسب حب الناس بأخلاقه، واجتذب قلوبهم بنبل تصرفاته، ونقل أعدى أعدائه من دياجير الكفر وطغيانه إلى رحاب الإيمان الفسيحة بتسامحه وكريم أفعاله" (4)

(1) متفق عليه تقدم نخرج القصة، ص : (1387).

(2) أخرجه البخاري في الإيمان، باب كيف كانت يمينا النبي صلى الله عليه وسلم (8/163)، ومسلم في الأفضية، بابن قضية هند برقم (1714).

(3) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كون الإيمان يهدم ما قبله برقم : (121).

(4) علموا أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، للدكتور محمد عبده يماني، ص : (127).

المبحث السابع

آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو غير المسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

: أثر هرقل من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وصفته على صحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته:

لقد كان أخلاقه صلى الله عليه وسلم العظيمة أثر بالغ في جذب الناس على الإسلام تبين ذلك من عامة أخلاقه ولاسيما صبره وحلمه وعفوه ومنه... على كثير من الناس في مواقف كثيرة مناسبات عديدة فكانت عظمة أخلاقه صلى الله عليه وسلم سببا مباشرا في إسلامهم وهدايتهم ، وما كان لهم أن يسلموا لو لم يتأثرون بتلك الأخلاق العظيمة، وذلك لما كانوا عليه من النفور والإباء والحمية الجاهلية فكانت معاملته لهم بتلك الأخلاق مفتاح هدايتهم.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا بُحَارًا بِالشَّامِ ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِلُجْمَانِهِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا ، فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فَيُكْمُ قُلْتُ هُوَ فِينَا دُو نَسَبٍ ، قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ فَبَلَّه قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ : لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ قَالَ أَتَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً

لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا ،
 قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ يَعْدِرُ قُلْتُ : لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا
 قَالَ وَمُ تَمْكِيَّتِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ

قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ
 سَجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
 وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ
 سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرَّسُولُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ
 هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ
 رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلِ قَيْلٍ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ
 كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكًا أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ
 أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى
 اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُولِ
 وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَيْتَمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُ
 أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشْتُهُ
 الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَعْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرَّسُولُ لَا تَعْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ
 أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ
 وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ
 خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَيِّي أَعْلَمُ أَيِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ
 لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى
 عَظِيمٍ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ

فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ
 سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ
 مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ، وَ{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ

الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّحْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ
أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ
عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

فهكذا استدلل هرقل بما يعرفه من أخلاق النبيين وصفاتهم على صحة رسالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته، حيث وافق واقع حاله صلى الله عليه وسلم مع ما
كان يعلمه من أحوال الأنبياء وصفاتهم، فصدق دعوته، وعلم أنه سيملك موضع قدميه،
وتمنى أن يحظى بالقرب منه صلى الله عليه وسلم ليتشرف بغسل قدميه، وهو ملك قومه "ومن
تأمل ما استقرأه هرقل من هذه الأوصاف تبين له حسن ما استوصف من أمره واستبرأه من
حاله، ولله دره من رجل ما كان أعقله لو ساعدته المقادير بتخليد ملكه والإتباع" (1) غير أنه
آثر مداراة قومه وشعبه فظل على شركه وكان من الخاسرين.

تلك الدلائل، ما كان معروفاً به من أخلاق عظيمة في كتب أهل الكتاب، فقد سئل
عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ممن يقرأ كتب أهل الكتاب فقال: "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
: يا أيها النبي إنا أرسلنا شاهداً مبشراً ونذيراً، وحرزاً للأمين، أنت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا يخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً
عمياً صماً وقلوباً غلفاً" (2)

المطلب الثاني

أثر صبره صلى الله عليه وسلم في جذب الناس إلى الإسلام:

أولاً : صبره على إيذاء الكافرين :

لقد كان لصبره صلى الله عليه وسلم على قومه وأمة دعوته أعظم الأثر في إسلام كثير
منهم، حيث لم يمل من دعوتهم ولم يتبرم من أذيتهم، بل ظل صابراً محتسباً يدعو إلى الله تعالى

(1) إرشاد الساري للقسطلاني : (77/1).

(2) أخرجه البخاري، في البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق : (87/3).

على بصيرة، ليلاً ونهاراً سرّاً، وجهاراً، لا يصدده عن ذلك صاد، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، مع عظيم الإيذاء وجليل المخاطرة، وما كان له من عاصم يعصمه عن أن يختار تعجيل النكال بهم ومبادرتهم بطلب الاستئصال والعذاب إلا الصبر على ذلك، رجاء أن يسلموا، أو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم مسلمين، كما كان يقوله صلى الله عليه وسلم (1) وقد حقق الله تعالى له ما رجاه، فلم يطل الزمن حتى أضحت مكة دار إسلام، وآمن قومه أجمعون، إلا من حقت عليه كلمة العذاب قبل أن يكون الفتح المبين.

ولم يمض وقت كبير حتى غدت جزيرة العرب كلها دار إسلام، وأهلها كلهم جنوده، ولم يأت وقت انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً وأضحت رايات الإسلام تحقق صوب الشام ومنها إلى أقطار الدنيا.

ثانياً: صبره على إيذاء المنافقين :

وكما كانت تلك آثار صبره على كفار مكة، فإن آثار صبره منافقي المدينة كانت نحو ذلك فائدة وثمره، فقد ظل في المدينة من يوم هجرته إليها، يلاقي كيد المنافقين ودسائسهم الخبيثة وتربصهم المستمر به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ودعوته، لينقضوا عليهم فيبيدوهم ويمحو آثارهم، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم مطلع على أخبارهم وأحوالهم بالإطلاع الله تعالى له على ذلك، فيغض الطرف عنهم ويصبر على خداعهم، ولطالما كانت تفوح رائحة النفاق من أحدهم فيجدها الصحابة الكرام رضى الله عنهم فيبادرون إلى طلب الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التصدي لهم أو له، وقطع دابره، واستئصال شأفته، فيأبى عليه الصلاة والسلام ذلك ويقول : "أخشى أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" يعني فيكون صاداً لهم عن الدخول في الإسلام، فيغلب المصلحة الآجلة المتوقعة، على العاجلة بقطع دابر الفساد لما في الآجلة من خير كثير يرجوه في إسلام الناس، ولما فيها أيضاً من رفيق بالمنافقين علمهم أن يتوبوا وقد تحقق له صلى الله عليه وسلم كلا الأمرين.

(1) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء : (140/4).

المطلب الثالث

أثر حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم:

ولقد كان لحلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه من الأثر في جذب الناس إلى الإسلام، ما كان لصبره، بل كان حلمه وعفوه أسرع أثراً، وأوضح دلالة على ما للأخلاق الكريمة من ثمرات إيجابية كبيرة كما يتبين مما يأتي :

ومن صور ذلك : حلمه صلى الله عليه وسلم عمن كان يعد شيطان قريش لكثرة شره وجليل خطره! عمير بن وهب الجمحي، الذي تعاهد مع صفوان بن أمية في حجر الكعبة على أن يقوم عمير بأخذ الثأر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلي بدر، ولا سيما أمية بن خلف رأس الكفر بمكة وطاغي الطغاة المؤذنين للضعفاء، فتجهز عمير لذلك، بعد أن ضمن له صفوان قضاء دينه ومؤنة عياله، فصقل سيفه وسقاه سماً، وما لبث أن قدم المدينة يريد إنفاذ جريمته، غير أن سيدنا عمر رضى الله عنه فطن له، فأخذ بتلابيبه، وأمر الصحابة أن يحرسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم منه. ثم أدخله عليه، فما أن رآه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كشف له سر نفسه، وقال له : "ماذا شرطت لصفوان في الحجر؟ ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له؟ قال : تحملت له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك والله حائل بينك وبين ذلك" فقال عمير : أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله.

المطلب الرابع

أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه:

أما أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه فقد كان بالغاً جداً، وذلك لخطر ما كان يعطي، وكامل رغبة المعطي في ذلك، كما قال أنس بن مالك رضى الله عنه: "إن الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا إلا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" يعني لما يجده من حسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ كرمه.

ويدل على ذلك عطاؤه العظيم في غزوة حنين، حيث كان يعطي الرجل غنماً بين جبلين فيرجع إلى قومه فيقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة⁽¹⁾ وكان من أولئك صفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن... وغيرهم حتى قال صفوان: "لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي"⁽²⁾

ولقد قصر عطاءه في هذا اليوم الذي بلغ فيه المال مبلغاً عظيماً لم يبلغه مثله من قبل، فصره على المؤلفلة قلوبهم من الطلقاء ونحوهم، ومنعه من قد وثق بإسلامهم وإيمانهم من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم، وذلك ليتألف به هؤلاء كما قال عليه الصلاة والسلام لما بلغة ارتياب حديثي الأسنان من الأنصار في ذلك، لما لم يدركوا السر الذي يهدف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم" ثم قال: "أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رجالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا..⁽³⁾

(1) كما جاء في حديث مسلم، برقم عام (2312).

(2) أخرجه مسلم، برقم: (2313).

(3) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف (200/5)، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفلة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه برقم: (1059).

الخاتمة

وفيها : خلاصة البحث :

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما عباده الذين اصطفى، وعلى سيدنا محمد النبي المقتفى، وآله وصحبه ومن اهتدى.

وبعد: قد ناولت بإذن الله تعالى الموضوع القصير وهو ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة، فمن خلال هذا البحث الوجيز، وجدت في القرآن الكريم والسنة المطهرة أن الأخلاق والدعوة بينهما علاقة وثيقة جدا، أنهما متلازمان لا ينفك أحدهما الآخر، ففي بحثي هذا قد بينت علاقة بين الأخلاق والدعوة، فأن الأخلاق هو مقاصد الدعوة إلى الله تعالى كما قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) فسرها المفسرون خلق عظيم أي : دين عظيم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) حصر سبب بعثته صلى الله عليه وسلم هو إتمام مكارم الأخلاق، وأن الأخلاق هو وسيلة الدعوة التي استخدم النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته في مواقف متعددة لقد كان حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه وصبره وصدقه وأمانته وصدق عهده من الأثر في جذب الناس إلى الإسلام، ففي فتح مكة عفا المشركين فدخلوا الناس في الإسلام أفواجا، والخلق الفاضل من أبرز مقومة الداعية كإخلاص والمتابعة والعلم والصبر ... والخلق الفاضل هو أهم أسباب نجاح الداعية في دعوته وانتشار الإسلام في العالم وجذب الناس إلى الإسلام فإذا يجب على الدعاة إلى الله أن يتحلى بمكارم الأخلاق في دعوتهم وبالله التوفيق.

أهم نتائج البحث :

ومن أبرز ما تجلى لي في هذا البحث المختصر من نتائج ما نسطره في النقاط التالية:

- 1- اهتمام القرآن الكريم البالغ بالأخلاق بحيث بلغ العدد الإجمالي لآيات الأخلاق نحو الربع من عدد آيات القرآن الكريم كله.
- 2- أن الأخلاق في الشريعة الإسلامية هي إحدى أصوله الأربعة وهي على الترتيب : (الإيمان، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات).
- 3- أن عناية القرآن الكريم بالأخلاق كانت من فجر الرسالة النبوية، كما تبين لنا من تأمل (القرآن الكريم المكي) حيث يدور على أصلي : الإيمان والأخلاق.

4- أن من غايات بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تركية أخلاق الأمة كما نطقت بذلك آيات كثيرة وأحاديث شهيرة منها قوله تعالى : كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ⁽¹⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)⁽²⁾

5- الدعوة والأخلاق صنوان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا تصح الدعوة إلا بالأخلاق الفاضلة.

6- الخلق الفاضل هو مقصود الدعوة وموضوعها وغايتها ووسيلتها.

توصيات البحث :

على هذا الضوء كان لابد لي من إبداء بعض المقترحات والتوصيات لزملائي والدعاة إلى الله تعالى : سأبين بعض المقترحات والتوصيات الآتية :

- 1- يجب لعامة المسلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة وبخاصة الدعاة إلى الله تعالى.
- 2- الداعي إلى الله يتعلم الأخلاق الفاضلة كما يتعلم العلوم الإسلامية.
- 3- أن يكون للأخلاق الإسلامية العظيمة نصيب من العناية الكبرى في مناهج الدعوة.
- 4- أن يكون للأخلاق الإسلامية العظيمة نصيب من العناية الكبرى في وسائل الدعوة.
- 5- الدعوة والأخلاق ينطلق في منطلق واحد لا يؤخر أحدهما الآخر.
- 6- على الداعي إلى الله يدعو الناس بالخلق الحسن فإنه أكثر تأثيرا في جذب الناس إلى الإسلام.

والحمد لله رب العالمين بدءا وختاماً ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) سورة البقرة، الآية: (151).

(2) وهذا لفظ البزار كما حكاه عنه الهيثمي في المجمع .

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله ، في ضوء الكتاب والسنة ، للدكتور أحمد بن نافع بن سليمان المورعي ، الطبع الأولي 1418 هـ 1997 م ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع.
- 2 - الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر ، لـ أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغدوي، الطبع الثانية 1431هـ/ 2010م دار الحضارة للنشر والتوزيع .
- 3 - هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنا حقاً، لـ محمود محمد الحزندار، دار الطيبة للنشر والتوزيع، الطبع الأولى 1420 هـ 1999 م .
- 4- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة ، لـ الدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الطبع الأولى 1996م، دار الغرب الإسلامي.
- 5- أصول الدعوة إلى الله - فضيلة الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الخالق.
- 6- أصول الدعوة، لـ الدكتور عبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية 1401 هـ
- 7- المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله، لـ أ. د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الطبع الأولى 1424 هـ/ 2003 م، الناشر مكتبة العلوم والحكم.
- 8- أخلاق النبي، لأبي الشيخ الأصبهاني المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (369 هـ).
- 9- مختصر صفة الصفوة لابن الجوزي، إعداد: أبو أحمد معتز أحمد عبد الفتاح.
- 10- لسان العرب، لابن منظور المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 15.
- 11- القاموس المحيط، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، عدد الأجزاء: 1
- 12- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، 1379 تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي عدد الأجزاء: 13.

- 13- معجم مقاييس اللغة، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة : 1399هـ - 1979م ،عدد الأجزاء : 6.
- 14- الصحاح في اللغة، المؤلف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراء.
- 15- أساس البلاغة، المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله.
- 16- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ عدد الأجزاء: 18
- 17- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا.
- 18- شرح سنن أبي داود، المؤلف : عبد المحسن العباد.
- 19- الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى 1399 هـ، دار القلم دمشق.
- 20- الأخلاق في الإسلام د. عبد اللطيف محمد العبد الطبعة الثانية 1419هـ دار التراث المدينة المنورة.
- 21- الرحيق الختوم لصفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى 1406هـ دار القلم، بيروت.
- 22- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق أحمد محمد شاعر وآخرين الطبعة الثانية 1398هـ، مصطفى الحلبي، القاهرة.
- 23- صفات الداعية أ.د. حمد ناصر العمار، الطبعة الثانية 1420هـ، دار إشبيليا الرياض.
- 24- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي الطبعة الثالثة 1402هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 25- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، الطبعة الأولى 1381هـ، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة.
- 26- مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، الطبعة الثالثة 1419هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.

27- تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة، فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير، الطبعة الأولى 1429هـ

فهارس الموضوعات:

| الصفحات | الموضوعات | رقم |
|---------|---|-----|
| 2 | المقدمة | 1 |
| 10 | تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً | 2 |
| 11 | مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم | 3 |
| 13 | مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة | 4 |
| 16 | تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً | 5 |
| 17 | مفهوم الدعوة في القرآن الكريم | 6 |
| 19 | مفهوم الدعوة في السنة المطهرة | 7 |
| 22 | ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة | 8 |
| 22 | الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة | 9 |
| 24 | حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق | 10 |
| 26 | الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم، الشجاعة...، | 11 |
| 27 | الصدق | 12 |
| 29 | الأمانة | 13 |
| 30 | خلق الوفاء | 14 |
| 32 | الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...، | 15 |
| 33 | الإخلاص | 16 |
| 34 | التقوى | 17 |
| 35 | الصبر | 18 |
| 36 | الحلم والأناة | 19 |

| | | |
|----|---|----|
| 37 | الرفق | 20 |
| 37 | العفو والإعراض | 21 |
| 38 | التواضع وعدم الكبر | 22 |
| 39 | أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية | 23 |
| 40 | الدعاة ألزم الناس بالأخلاق الفاضلة | 24 |
| 40 | استقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله | 25 |
| 41 | صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته | 26 |
| 42 | آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو المسلم | 27 |
| 43 | الدلائل العملية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم | 28 |
| 44 | الدلائل القولية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم | 29 |
| 47 | آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو غير المسلم | 30 |
| 47 | أثر هرقل من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وصفته على صحة رسالة رسول الله عليه وسلم وصدق دعوته | 31 |
| 49 | أثر صبره صلى الله عليه وسلم في جذب الناس إلى الإسلام | 32 |
| 51 | أثر حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم | 33 |
| 52 | أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه | 34 |
| 53 | الخاتمة | 35 |
| 53 | خلاصة البحث | 36 |
| 53 | أهم نتائج البحث | 37 |
| 54 | توصيات البحث | 38 |
| 55 | قائمة المصادر والمراجع | 39 |
| 57 | فهارس الموضوعات | 40 |